الفصل الثالث

عصر الدولة الحديثة (المجد الحربى)

بانتصار أحمس على الهكسوس يبدأ عصر الدولة الفرعونية الحديثة، هذا الانتصار الذي يعد بداية سلسلة الانتصارات التي حققها ملوك مصر في هذا العصر، والتي دفعتنا إلى تسميته بعصر المجد الحربي.

والواضح أن تلك الانتصارات لم تكن فقط لصد هجمات الأعداء الغزاة، بل كان منها معارك انتصر فيها الجيش المصري بغرض تدعيم ملك الإمبراطورية المصرية التي اتسعت لتشمل مناطق شاسعة في أسيا وأفريقيا، خاصة في عهد تحتمس الثالث، والذي كون بدوره إمبراطورية عظيمة عرف أنها أقدم وأول إمبراطورية في التاريخ.

تميزت هذه الفترة كذلك بوجود العديد من الأنبياء في مصر، والتي بدأت بقصة يوسف عليه السلام وتبعه إلى مصر أبيه النبي يعقوب عليه السلام وكل بني إسرائيل، وتوالى الأنبياء منهم حتى بعث فيهم نبي الله موسى عليه السلام، ومن المرجح كذلك أن بعد خروج بني إسرائيل من مصر قد حدثت مصاهرة بين النبي سليمان عليه السلام وملوك الفراعنة، حيث يقال أن سليمان عليه السلام قد تزوج من احدى بنات أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين.

1- الأسرة الثامنة عشر:

كما ذكرنا من قبل، يعتبر الملك أحمس أول ملوك هذه الأسرة، وفي عهد هذه الأسرة استعادت الملكية هيبتها، وتم تحرير البلاد وتوطيد استقلالها بعد محنة الهكسوس.

وقد تعاقب في أسرة أحمس اثنا عشر ملكًا حكموا لأكثر من قرنين ونصف من الزمان وهم (أحمس – أمنحتب الأول– تحتمس الأول– تحتمس الثاني– حتشبسوت–أمنحتب الثاني– أمنحتب الثالث– أمنحتب الرابع– سمنخ كا رع– توت عنخ أمون– أي – حور محب)[1]

1– المرجع السابق – ص54

وسنتناول أشهر ملوك الأسرة بعد أحمس، وأهم أعمالهم بشئ من التفصيل:

أ-حتشبسوت: واضح من الاسم أنها امرأة، وكانت التقاليد الملكية تمنع تولي العرش امرأة منفردة، ولم يكن هناك سوابق لتولي ملكات منفردات عرش مصر، لذا زوجها أبوها لأخ لها من زوجة ثانوية، وكان هذا الأخ هو تحتمس الثاني.

استطاعت حتشبسوت أن تفرض شخصيتها على أخيها وتنفرد بالحكم، ومن ثم عملت على الايحاء لمن حولها ولكل الشعب المصري أنه لا فرق بينها وبين الرجال، وقامت بارتداء ملابس الرجال.

كان عصر حتشبسوت عصر ينعم بالرخاء والاستقرار اذ أنها لم تكن تميل إلى الحروب، وتفرغت للعمران ويشهد على ذلك معبدها في الأقصر والذي يعرف بالدير البحري.

اهتمت حتشبسوت بالبعثات التجارية، فأرسلت بعثة إلى بلاد بونت (الصومال) لاستيراد البخور والعاج والأحجار الكريمة وجلد الأسود، كما جلبت الأحجار الضخمة لبناء المعابد من أسوان.

ب-تحتمس الثالث: هو ابن تحتمس الثاني من زوجة ثانوية غير حتشبسوت، وقد انفرد بالحكم بعد وفاة حتشبسوت، ويعتبر

تحتمس الثالث أحد الأبطال العسكريين العظام، وهو صاحب أقدم إمبراطورية قامت في تاريخ البشرية.

سيطر تحتمس الثالث على الشام بعد أن أرسل ست عشرة حملة عسكرية أهمها هي التي قادها بنفسه وانتصر فيها على أمير قادش وغنم منه مغانم كثيرة، وعَرفت هذه المعركة باسم مجدو.

كما اتجه تحتمس الثالث ناحية الجنوب وسيطر على بلاد النوبة، بل وامتدت سيطرته حتى وصلت إلى شلال النيل الرابع.

استطاع كذلك أن يكون اسطولا عسكريا قويا مكنه من فرض سيطرته الكاملة على جزر البحر المتوسط، كما عرف أن تحتمس الثالث هو أول من اخترع حرب الاستباقية والمداهمة، وأول من قسم الجيش إلى قلب وجناحين.

على أي حال، كان تحتمس الثالث واحدًا من أهم القادة العسكريين الذين مروا على تاريخ مصر.

ج- أمنحتب الرابع: عُرِفَ أيضًا باسم (اخناتون)، وتزوج واحدة من أشهر ملكات مصر وهي (نفرتيتي)، ويبدو أنهما لم يهتما كثيرًا بشئون السياسة، بل انصب جل اهتمامهما على أمور العبادة والدين.

كانت عبادة الاله أمون هي العبادة الرسمية للدولة المصرية في ذلك الوقت، وجاورها العديد من العبادات لألهة أخرى ثانوية يبدو أنها اقتصرت على بعض المدن أو الأقاليم، فأراد أمنحتب الرابع أن يوحد كل الألهة والعبادات في إله واحد.

اختار أمنحتب الرابع اسم (أتون) للاله الواحد، ورمز له بقرص الشمس التي تصل اشعاعتها إلى سائر المخلوقات، وغير اسمه إلى (اخناتون) والتي تعني خادم الاله أتون، وأقام عاصمة جديدة لتكون مركزا لعبادة الاله أتون، وهي مدينة (اخيتاتون)، إلَّا أن ذلك لم يستمر طويلًا حيث داهمته ثورة كهنة آمون وأتباعهم والتي أطاحت بحياته هو نفسه.

وقد ذهب كثير من المؤرِّخين إلى أن أمنحتب الرابع (اخناتون) هو الملك الذي حدث في عهده القحط الشهير الذي امتد سبع سنوات زمن وجود النبي يوسف عليه السلام في مصر، وأنا شخصيا أميل إلى هذا الرأي وبالأخص أن عصر اخناتون كان عصر ثورة دينية هدفت إلى توحيد الالهة، وبالأدق عبادة إله واحد، إلَّا أن الدليل المادي الذي يؤكد ذلك مازال غير موجود أمامي، لكن الحدث الأكيد، أن يوسف عليه السلام قد جاء إلى

مصر، ودارت أحداث قصته ثم تبعه نزول بني إسرائيل إلى مصرفي عصر الأسرة الثامنة عشر أو قبلها قليلًا.

د- توت عنخ أمون: على الأرجح هو الأخ الأصغر لإخناتون، وقد تولى الحكم وهو غلام صغير وحكم لمدة ثماني سنوات، وأبرز ما يميز عصره أنه ارتد عن عبادة أتون إلى عبادة أمون مرة أخرى، كما أعاد العاصمة إلى طيبة.

ولعل شهرة توت عنخ أمون ترجع إلى إكتشاف مقبرته كاملة عام 1922م، دون ان تصل إليها أيادي اللصوص، وقد نقلت أغلب محتوياتها من المقبرة بالأقصر إلى المتحف المصري بوسط القاهرة، حيث عثر على أثاثه الدنيوي وأثاثه الجنزي، وأروعها تابوته الذهبي وثلاثة توابيت أخرى مطلية بالذهب، كما عُثِرَ على كرسي عرشه وصندوقه الخاص وتماثيله الصغيرة المعروفة بالأوشابتي، أما أشهر متعلقاته على الإطلاق فهو القناع الذهبي الخاص به والذي يحمل ملامح وجهه اليافعة.

2- الأسرة التاسعة عشر:

رغم أن أول ملوك هذه الأسرة هو الملك (با رع مسسو) والذي عرف باسم (رمسيس) إلَّا أن ابنه سيتي الأول يعتبر هو المؤسس الحقيقي للأسرة التاسعة عشر.

وترجع أهمية هذه الأسرة في التاريخ إلى أن احتمالات أن تكون هي الأسرة التي خرج في عصرها بني إسرائيل من مصر احتمالات كبيرة جدا، على أي حال سنتناول أهم ملوك هذه الأسرة وأهم أعمالهم فيما يلي:

أ- سيتي الأول: يعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة، اهتم بالحياة الدينية، واستغل المناجم خاصة مناجم الذهب في الصحراء الشرقية، وحارب الحيثيين في الشام حروب عديدة.

ب- رمسيس الثاني: خلف أباه سيتي الأول عام 1290ق.م.[1] ولعل هذا التاريخ الذي تولى فيه رمسيس الثاني العرش ومن المؤكد أن اليهود خرجوا من مصر في حكم رمسيس الثاني أو في حكم ابنه مرنبتاح، هو أكبر دليل على افتراءات اليهود بأنهم سخروا لبناء الأهرام أثناء فترة وجودهم في مصر.

فبني إسرائيل دخلوا مصر قبل هذا التاريخ بفترة لاتتجاوز

1- المرجع السابق – ص63

الثلاثة قـرون، في حين بنيت الأهـرام المشهورة في عصر الأسرة الرابعة، أي قبل هذا التاريخ بحوالي خمسة عشر قرنًا.

وقد حكم رمسيس لمدة 67سنة، كانت مليئة بالأعمال لاسيما الأعمال العسكرية، فقد انتصر على الحيثيين في معركة عظيمة حدثت في قادش بالشام وعرفت باسم (قادش) أيضا، ورغم انتصاره الكبير إلَّا أنه آثر أن يعقد معهم معاهدة سلام، والتي يبدو أنها كانت أقدم معاهدة سلام في التاريخ، ونال رمسيس الثاني بسبب هذه المعاهدة لقب بطل الحرب والسلام.

ولرمسيس الثاني معبدين مشهورين في أبي سمبل، وعُرِفَ عن عصره كذلك بناء المسلات الضخمة.

ج- مرنبتاح: هو ابن رمسيس الثاني،وعرفنا عن رمسيس الثاني أنـه قد تـزوج عدة زيجات، وقد تصدى مرنبتاح لهجمات الليبيين القادمة من الحدود الغربية، إلَّا أن أهم ما يميز عصر مرنبتاح هو لوحته الشهيرة الموجودة في المتحف المصري بوسط القاهرة، والتي ذكر فيها اسم الإسرائيليين لأول مرة في التاريخ المصري، وتوضح هذه اللوحة أنه اشتد عليهم وتتبعهم وأراد الانتقام منهم.

3- **الأسرات من 20 إلى 30:**

لم يكن ملوك هذه الفترة كسابقيهم من ملوك الفراعنة، إلَّا قليلهم، فكثرت الغارات على مصر من جميع الجهات، وطمع الغزاة فيها بسبب ضعف حكامها حتى انتهى الأمر إلى سقوط مصر في يد الغزاة الفرس.

وقد عُرِفَ هذ العصر الذي ضم الأسرات من العشرين وحتى الأسرة الأخيرة باسم (العصرالمتأخر)، وكان لبعض ملوك هذه الفترة بعض الأعمال العظيمة، سنتناول بعضها.

أ- رمسيس الثالث: من ملوك الأسرة العشرين، وأهم أعماله هي تصديه لهجمات شعوب البحر المتوسط التي هاجمت مصر برا وبحرا.

ويبدو أن مصر قد سقطت في يد الليبيين بعد ذلك، ثم استطاع أمراء النوبة تكوين الأسرة الخامسة والعشرين الفرعونية والتي عرفت باسم (الأسرة النوبية)، إلَّا أن حكمها لم يدم طويلا حيث سقطت مصر في يد الأشوريين.

ب- أبسماتيك الأول: من ملوك الأسرة السادسة والعشرين والتي عرفت بالعصر (الصاوي) وقد استطاع تحرير مصر من الأشوريين.

ج- نخاو(نكاو) الثاني: هو خليفة أبسماتيك الأول، والذي استطاع أن يحافظ على حدود الدولة ويتصدى للمغيرين، كما قام بإعادة حفر قناة سيزوستريس التي كانت قد حفرت في عهد سنوسرت الثالث، كم أرسل بعثة تجارية للدوران حول أفريقيا استغرقت ثلاث سنوات ويبدو أن البحارة الذين قاموا بهذه الرحلة بأمر الملك نخاو كانوا من الفينيقيين.

على أي حال، بعد وفاة نخاو مرت مصر بفترة عصيبة، وازداد النفوذ الأجنبي في مصر خاصة أن الجيش المصري في هذا الوقت كان معظمه من المرتزقة الإغريق، كما اشترك اليهود في هذه المؤامرة والتي انتهت بسقوط مصر في يد الفرس.

ففي عام 525ق.م. هاجم (قمبيز) ملك الفرس مصر، وساعده (فانيس) الخائن قائد جيش المرتزقة الإغريق في مصر وانضم اليهود إلى هذه المؤامرة فسقطت مصر في يد الفرس وظلت منذ ذلك التاريخ خاضعة لحكمهم حتى مجئ الإسكندر الأكبر إلى مصر 332ق.م. الذي طرد الفرس من مصر، واستبدلت مصر الحكم الفارسي بالحكم المقدوني

وبذلك نطوي صفحة من صفحات تاريخ مصر الممتلئ بالأحداث والشخصيات العظيمة، وننتقل إلى تناول عصر أخر وشخصيات أخرى.